المنهج التجديدي للشيخ محمد جواد البلاغي(ت1935م) في أثبات التوحيد

م.م. مريم عيسى جاسم
جامعة الامام جعفر الصادق(ع)

الكلمات المفتاحية: الفكر. العقيدة. التوحيد

الملخص:

كانت عقائد الامة الاسلامية وأصول دينها قد تجلت عليها البدع والخرافات وتحولت اغلب كتب العقائد الى متون وحواشي مليئة بالجدل اللفظي العقيم لذا فان البلاغي قد عمد الى تصحيح العقيدة و عرضها بصورة مبسطة خالية من كل تلك التعقيدات، لذا تكون هذا البحث من عدة محاور، كان المحور الاول في اجابة الشيخ البلاغي عن شبهات الماديين ،اذ تلخصت شبهاتهم حول النشوء والارتقاء وأزلية المادة والصدفة، اما المحور الثاني تضمن التوحيد الذاتي، في حين المحور الثالث حول التوحيد في الصفات والمحور الاخير حول التوحيد في الخالقية.

المقدمة:

كانت المؤلفات الكلامية قديماً قد اختصت باثبات وبيان الاصول العقائدية بالاضافة الى دحض الشبه عنها، كل ذلك بمنهج عقلي جدلي ومصطلحات كلامية معقدة وغياب الابعاد والمضامين المتوخاة من الايمان بالله وتفعيل العقيدة في الاستجابة لمتطلبات المسلم، واختزال مباحثه بالجانب النظري المجرد. وفيما بعد ساد الركود والجمود علم الكلام واتجهت المؤلفات الكلامية الى تقليد ما كتبه السابقين من دون ملاحظة اي تغيير يذكر، وابتعد علم الكلام عن الغاية المتوخاة منه في اول نشأته وامتازت المباحث الكلامية بالغموض واللغة المعقدة الصعبة، في حين شهدت اوربا نهضة فكرية واسعة ،كانت من اثار تلك النهضة اثارت الشبه والاشكالات والانتقادات حول معتقدات المسلمين، هذا اولاً، واما ثانياً اغترار الناشئة بالحداثة الغربية واعتناق الافكار الالحادية المادية. وثالثاً عجز علم الكلام المتداول ان يواجه تلك الاشكالات .كل ذلك شكل حافز للعلماء على تكوين حركة احيائية تجديدة وذلك في بداية القرن الثالث عشر الهجري واستمرت الى القرن الرابع عشر الهجري، وعمت تلك الحركة العالم العربي اجمع، فكان من روادها السيد جمال الدين الافغاني في رده على

الدهريين والشيخ محمد عبده في رسالته (التوحيد)، والشيخ حسين الجسر في كتابيه الحصون الحميدية والرسالة الحميدية والشيخ محمد جواد البلاغي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد محمد علي هبة الدين الحسيني وغيرهم. فاخذ هؤلاء العلماء على عاتقهم الا جابة عن الاشكالات التي تصدر من الحداثة الغربية وبذلك شهد علم الكلام تطور ملحوظ في ابحاثه لذا سعينا لبيان جهود الشيخ محمد جواد البلاغي في أثبات التوحيد.

أولاً: أدلة وجود الله عند البلاغي: بما أن الاصل الذي يقوم عليه الاسلام هو تأسيس التوحيد وتمحيصه في نفوس الناس فبانعدام ذلك تنعدم الارضية المناسبة لقبول التعاليم الدينية، ولهذا فأن الوحي أكد على تأسيس التوحيد كعقيدة في نفوس المخاطبين وبناءعلى ذلك فإن البلاغي قد بين رأيه في العديد من المسائل التي يحتاجها الانسان في بناء عقيدة توحيدية خالصة[1].قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}[2] فيوضح البلاغي ان معنى الكلمة في هذهِ الاية هي التوحيد توحيد الاله وهي الكلمة التي يلهج بها المسلمون والنصارى بألسنتهم وتلهج بها جميع الكتب السماوية ولهذا فأن التوحيد هو مبدأ التعليم وهو اساس الديانة ومادلت عليه الكتب صراحة، يقول البلاغي مخاطباً النصارى "... بل تعالوا الى التمسك بحقيقته كلمة التوحيد و(الا نعبد الا الله الذي نعرف الهيته ونعترف بوحدانيّته، فلا ندعو معه الهاً اخر ولا ربّاً اخر(ولا نشرك به شيئاً) كما ذكر في فلتات كتبكم : التوراة الرائحة، والكتاب المنسوب الى اشعياء والاناجيل الرائجة، والرسائل المنسوبة الى بولس." [3].

واما قوله تعالى: {وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[4] فينبه البلاغي على ان هذهِ الاية تشير الى التأكيد على عدم اتخاذ من البشر الهة من دون الله الذي نقر ونذعن بالهيته فمن غير المعقول تحريف الاناجيل وتعليماتها بتعدد الارباب وما معنى اتخاذ بعض البشر الهاً الا الجحود لجلال الله في احقيقته للربوبية ويبين البلاغي ان الاسلام لايجبر من لا يهتدي للاسلام اذ قال تعالى {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[5] أي من لم يذعن ويقبل النصيحة ويأخذ حظه من الهدى والرشد والسلامة فقولوا لهم ان الله ربنا ونعترف بجلاله فلا نخادع عقولنا ولا نتراجع[6].

يستدل الماديون على عدم وجود خالق مبدع باستحالة احداث الوجود بعد العدم، فيرد البلاغي ذلك انه من البداهة حدوث وجود الصور بعد عدمه وعدمها فالانسان، كان مجرد منياً ثم يصير ذا دم ولحم وعظم وشعر وادراك وعقل، وكل ذلك لم يكن بل حتى ان صورة المني كانت معدومة ثم وجدت، وينطبق ذلك على الحيوان والنبات والمعادن. وبعد ان يثبت البلاغي امكانية الوجود بعد العدم، فهو يثبت ان لهذا الكون واجب الوجود لذاته، وان "

وجوب وجوده الذاتي مساوقاً لامتناع صفة الحدوث له"[7]، لذا فإن مسألة استحالة وجود الخالق لعدم امكانية احداث الوجود بعد العدم ليس لها جهة نظرية في الاصل[8] .ويستدل كذلك الملحدون بان من الموانع من وجود الخالق هو التغيير والتحول الحاصل في كل شيء في الطبيعة[9]، ان هذهِ الشبهة ساقطة وذلك لان الخلق الخصوصي تابع لارادة الخالق وتقديره في بقاء المخلوق وفنائه، فيبقى ما يبقى ويفنى مايفنى ويتغير ما يتغير بارادته وتقديره، اضافة الى ذلك ان سنة التغيير والتبديل من الدلائل على وجود الخالق واحتياج الخالق واحتياج الخلق اليه[10] .ومما يستدلون به على منع وجود الخالق، وجود اعضاء في الحيوان معطلة اذ على زعمهم ان اعظم برهان على وجود الخالق احكام نظام الكائنات. ويرد ذلك البلاغي بان ما ذكره شبلي شميل[*] في المجلد الثاني من مجموعته " والحق أن الطبّ مهما دقق في التحري للتاكد من الموت الحقيقي فلا يسعه الا الاعتراف بان كل العلامات المعول عليها قد تخطئ . ماعدا علامة واحدة هي التعفن، انتهى"[11] فاذا كان عالم الطب لا يستطيع اثبات علامات للموت غير التعفن مع كثرة ظهور الموت للعيان، فكيف يمكن التصريح بعدم ضرورة الاعضاء الباطنة وتحقيق المقصود منها، مع كل ذلك ان الاستدلال على عدم وجود الخالق من خلال عدم الفائدة من بعض الاعضاء هو من الوهن بمكان، اذ ان افتراضهم في عدم الفائدة من الاعضاء لا ينافي وجود الخالق وكذلك لا ينافي قصده واختياره، انما متعلق ذلك بحكمته[12] ويقول في ذلك البلاغي " وانما يعترض لحكمته .وهذا التعرّض مبنيّ على الملازمة بين وجوده وحكمته، والدليل عقلي، وبمقتضى زعمهم انه من العقل المجرّد، فكيف صح منهم الاعتماد عليه والمقام لايكتفى فيه بالجدل، مع انّ الجدل معكوس عليهم؟"[13] .ومن اعتراضاتهم ايضاً على عدم وجود الخالق: انه لا تفاوت بين البشر الا بتفاوت الجد والاجتهاد، فلا معنى من التوكل عليه ودعاءه بالرزق اذ لو كان موجوداً لحابى وكفى من توكل عليه واتقاه ودعاه، ويرد البلاغي زعمهم هذا بان الواقع اثبت عكس ذلك، فكم من اجتهد وسعى قد خاب سعيه فقد نرى انساناً بصيراً بالتجارة الا انه محروم تراجعت اموره ونرى اخر لابصيرة له بالتجارة وغير عارف بأسبابها الا ان الارباح تتدفق عليه وامثال ذلك كثير، إضافة الى ذلك أن الآثار غير مرتبطة في كثير من الاحيان بالاسباب ومبالغ الجد والاجتهاد . أما فيما يتعلق بمسألة كفاية الله لمن توكل عليه، فأن ذلك يدركه أهل البصائر واهل التقوى ويرونها من اوضح الوجدانيات لهم[14] .و من الشبهات التي يثيرها شبلي شميل حول الخالق ما نصه " فاذا كان العلم اليوم يرى ان المواد والقوى الموجودة في الطبيعة والمشتركة بين سائر كائناتها، كافية وحدها لتفسير جميع تحولاتها وأفعالها البسيطة والمركبة الراقية، فأية حاجةٍ بنا بعد ذلك الى القول بقوى

غريبة لا يدل عليها؟! وليس لنا أقل دليل علمي كذلك على وجود غير منظور..." [15]. ويبطل البلاغي ذلك بقوله كيف للعلم ان يثبت ان بامكان المواد والقوى التي في الطبيعة ان تفسر وتعلل في جميع الكائنات ليس لها غاية مقصودة في جميع ادوارها، فهل يعقل ان يكون هذا النظام العجيب المنتظم والمتقن هو نتيجة صدفة عمياء وطبيعة لاشعور لها، وهل يعقل ان الذي يقول بوجود الاثير والجوهر الفرد وحركاته مما يقرون بانه لاسبيل الى رؤ يته، ومع ذلك فقد ادعوا ان العلم يدل عليها[16]، لكنه يدعي ويقول " ليس لنا أقل دليل علمي على وجود غير منظور"[17]. ويذكر البلاغي عدة مقدمات لضرورة وجود الخالق: المقدمة الاولى : جرت طريقة العقل والعقلاء والعلم في العالم في البحث عن تعليل الموجود وذلك للقيام بواجباته العملية والعلمية. المقدمة الثانية : ان من الواضح في العلم وفطرة العقلاء في ان الغاية من البحث عن الموجود ليس لاسباب كونه ممكناً غير واجب الوجود لذاته وذلك لحدوثه المعلوم وما يجري عليه من التغير والانفعال والحاجة الى غيره. المقدمة الثالثة: ان من اسهل احكام العقل حكمه ان كل موجود اما ان يكون واجب الوجود لذاته او ممكن وان الاخير لابد ان يكون معلولاً لغيره. غير ان الوقوف بالتعليل اما ان يفرض على الجواهر الفردة وحركتها واما على الاثير وحركته، او على ذهاب سلسلة التعليل الى ما لانهاية، او على واجب الوجود لذاته، لذا استلزم الكلام مقامات اربعة: المقام الاول. لايمكن التعليل على الجواهر الفردة وحركتها كونها غير واجبة الوجود فهي بحاجة الى التعليل، اما الجواهر أي الجسم فوجوده غير معقول، اضافة الى كون الجواهر الفردة متكونة من اجزاء لهذا لايمكن ان تكون واجباً بالذات لاحتياج الجزء الى اجزاءه وايضاً الى اقتصار كل واحد منها بمكان ينافي كونها واجبة الوجود وذلك لان وجوب وجودها الذاتي يستوجب ان يكون في ذات كل واحد منها جهة تستلزم وجوده. وكذلك ان حركة الجواهر لايمكن ان تكون واجبة الوجود لذاتها وذلك لكونها عبارة عن تحولات يحدث اللاحق بعد انعدام السابق، وكون وجوب الوجود لايمكن ان يجتمع مع الحدوث والانعدام وان الحركة عرض يفتقر الى المعروض، لذا لايمكن ان يكون واجباً بالذات. اما المقام الثاني: الاثير وحركته، ان الاثير مركباً في حقيقته ومقداره والمركب لايمكن ان يكون واجب الوجود، وكذلك لايمكن ان تكون حركته واجبة الوجود لكونها معلولة بشيء اخر. في حين المقام الثالث هو الفرار بالتعليل الى ما لانهاية " وهو فرار من العلم الى غير مفر، وذلك لان العقل كلما تصور موجوداً يجعله علةً لابدّ من ان يلحظ كونه محتاجاً في وجوده، فيطلب علته أيضاً، أو واجباً لذاته، فيقف على موقف علمي، بل ان هذا اللحاظ مقدّم في نظر العقل على التعليل، لانه لحاظ لذات الموجود ووجوده، والتعليل به نظر ثان الى افعاله

وتأثيراته"[18]، ان البناء على التسلسل في التعليل مرفوض عند جميع العقلاء، وذلك ان فرضه يؤدي الى بطلانه حيث ان سلسلة المعلولات من حيث انها تنقطع قبل سلسلة العلل وسلسلة العلل تزيد عليها بواحد . وان كل ما ينقطع او يزيد على المنقطع بواحد هو المؤثر في جملة الكل كون الشيء لايؤثر في نفسه ولا جزءاً منها، فينقطع التسلسل. ومع ذلك كله ان العقل يدرك ان مجموع السلسلة المفروضة محتاجة الى التعليل، كونها غير واجبة الوجود ولا تنتهي الى الواجب والا بطل فرض التسلسل[19]. والمقام الرابع والاخير هو واجب الوجود وفيه مسائل[20]: المسألة الاولى . تنزه واجب الوجود من التركيب، لاحتياج المركب الى اجزائه. والمسالة الثانية: ان واجب الوجود يلزم ان يكون قديماً أزلياً أبدياً. واما المسألة الثالثة : ان انعدام الحوادث واختلافاتها وفق ارادته جل شأنه .بينما المسألة الرابعة : ان الواجب الصانع عالم وذلك كون الارادة والعلم متلازمان، وان وجود الموجودات على هذا النحو من التركيب المتقن الصنع والنظام العجيب لايكون بحكم العقل الا عن علم الموجد وتقديره. والمسالة الخامسة والاخيرة. نتيجة لما تقدم من المسائل الاربعة من أن الباري عالماً وواجباً بالذات واتقان نظام المخلوقات، كل ذلك يدل على حكمته وانه يضع كل شيء في الامور اللائقة به.

ومن الشبهات التي قال بها الملاحدة لينكروا وجود الله تعالى واجاب عنها البلاغي:

اولاً: النشوء والارتقاء: ويرد البلاغي نظرية دارون في النشوء والارتقاء وملخص هذهِ النظرية " هو ان جميع أشكال الحياة المتمثلة في الانواع المتعددة الموجودة فعلاً، ترجع الى اصل واحد او اصول متعددة. ذلك الاصل الواحد هو الذي تطورت منه هذهِ الانواع خلال ملايين السنين الى ان اتخذت أشكالها التي نراها عليها الان"[21]، فيقول البلاغي ،وهذهِ النظرية لاتستند الى الادلة وعلم اليقين، ومن العجب ان بعض المسلمين ايد نظرية دارون بقولهم ان لهذهِ النظرية اساس في القران فهي ليست من اختراع دارون بل صرحت بها الاية الكريمة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[22]، فاي ربط في الاية بتحول انواع الاحياء بالنشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي[23]. ومن المعلوم ان هذهِ النظرية تعتمد على أساسين : الانتخاب الطبيعي، أي ان الطبيعة تنتخب الارقى فالارقى الى ان بلغ الانتخاب صنف القرود ثم الانسان، ان البلاغي يتساءل كيف علم دارون بذلك اذ انه ولد سنة (1809م) وعمره لم يتجاوز الثلاث وسبعون عاماً "فهل شاهد

تحول الانواع بعضها الى بعض كتحول القرد الى الانسان. وهل شاهد كون الطبيعة تنتخب الارق فالارق من صفات النوع"[24] كل ذلك دون تدخل أي عامل خارجي يضفي عليها اما الانحطاط واما التحسين بحسب قابلية المؤثرات وفعاليتها، فيتساءل البلاغي كيف علم دارون بان التحول والانتخاب سنة من الطبيعة وقانون في الاحياء، وعلى فرض ان دارون شاهد تطور بعض الاحياء فلايمكن له ان يجعل ذلك سنة جارية في الطبيعة وذلك مخالف لقوانين العلم، ومن العجيب ان داروين عندما يعجز عن تفسير التحولات والتغيرات التي تطرأ على الاحياء ينسبها للمصادفة العمياء[25]. أما الاساس الثاني الذي اعتمده داروين في النشوء والارتقاء هو التنازع في البقاء بين الكائنات الحية، لأن بعض الحيوانات يتغذى ببعض والبعض يعادي البعض الاخر، ومن النبات من يكون ساماً للنبات الاخر وبعضه يكون مصلحاً للاخر، لكن كيف يرتبط ذلك بتسلسل الانواع والغاية منه سواء على سبيل القصد أم المصادفة هو من أجل حفظ الصفوف العالية، اليس بعض اقسام الضباع تقتل الانسان وتأكله وتعاديه مع انه اعلى صفوف الكائنات الحية، بالاضافة الى ذلك نجد من الحيوانات البائدة من هي اعلى صفوف الحيوان، ومن المضحك ان المؤيدين لنظرية النشوء والارتقاء يعللون ذلك بأنها انقرضت لاسباب اقتضاها الانتخاب الطبيعي، وحل محلها حيوانات اخرى هي اقرب الى حاجيات الناس، فلماذا لم تجتمع الحيوانات البائدة مع ماهو اقرب الى حاجة الانسان[26] .وعلى ذلك فإن البلاغي ابطل نظرية داروين بالحجة والبرهان، واثبت بانها لاتستند الى أي اساس علمي ومنطقي .

ثانياً الصدفة: ويحتج البلاغي على الماديين في تعليل الوجود بالصدفة وابداع الطبيعة البكماء ومجرد حركة الجواهر الفردة وتجمعها على مر الدهور، اذ كيف يعقل ان " موجودات العالم بأجمعها في جميع ادوارها مرتبة على نظام الغايات مستعملة فيها على اتقن الحكمة كيف لا يحكم الوجدان بأنها صنع صانع..." [27]، ويتساءل البلاغي بعد ذلك كيف يقال لهذا العالم المنتظم وموجوداته التي تبهر ذوي الالباب بغاياتها الكبيرة المستعملة فيها انه بتأثير الطبيعة البكماء والصدفة العمياء؟[28].بل ان من قام وجود الموجودات هو الله الاله القادر العليم واجب الوجود لا الصدفة العمياء ولا الطبيعة البكماء، اضافة الى ذلك لو تمعن الانسان في خلقه ونشوه وتناسل نوعه والات نفعه وخصائص صورته كما يذكر ذلك القران الكريم (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ خْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) [29]، وامثال ذلك من الايات التي توضح عظيم خلق الانسان، فهل يسمح الوجدان بأن يقال إن هذا كله من الصدفة العمياء والطبيعة البكماء[30].

ثالثاً. ازلية المادة: يعترض البلاغي على الماديين بقولهم ان المادة قديمة، فيقول ان المادة حادثة بعد العدم ويستدل بذلك بأدلة علمية اذ ان " الراديوم(*) يتحول الى القوة ولايزال هذا التحول يبعث في الفضاء كهربائيته وحرارته ونوره حتى قدروا ان الغرام منه يتحول نصفه في الف وخمسمائة سنة تحويلا تاماً ووجدوا أن غازه اذا وضع في قارورة مسدودة ينعدم بعد مدة ثم يحدث بدلاً عنه غاز الهليوم"[31]، اضف الى ذلك ان العقل لديه من القضايا الوجدانية الفطرية والبديهية والعديد من المشاهدات الحسية ما يجزم بان المادة ليست ازلية، اذ ان الممكن لا يكون ازلياً بل لابد ان يكون حادثاً وبحاجة الى واجب الوجود لا يجاده، ولكون الممكن خاضع للتغيرات والتقلبات فهو لا يكون واجب بل حادث وبحاجة الى عامل خارجي يضفي عليه الابداع والوجود بعد العدم، وينتهي البلاغي بالقول وبسبب كون المادة قابلة ان تنعدم ولو تدريجياً ولو بالتحول لا يمكن ان تكون ازلية، كون الازلي لابد ان يكون ابدياً وما ليس ازلياً بحاجة الى موجد يبدعه وعلة تعلله.[32]وبهذا فان البلاغي قد رد شبهات الماديين القائلين بالصدفة والانتخاب الطبيعي وبازلية المادة وجعل الطبيعة هي الخالقة، مستنداً في ذلك الى الادلة العلمية والعقلية.

التوحيد في الذات عند الشيخ البلاغي

للشيخ البلاغي أراء عدة في مسألة التوحيد في الذات ،فمنها ردّه على المسيحيين في قولهم في الفصل الرابع، من رسالة يوحنا الأولى: ((ومن لا يحب لم يعرف الله ؛ لأن الله محبّة. الله محبّة ومن يثبت في المحبّة في الله والله فيه)) [33] .فيرد ذلك الشيخ البلاغي بقوله : " وأيضا إن إنجيل يوحنا ومطلق كتب العهد الجديد قد تقلبت واضطربت في أساليب الكلام إذن فلا يؤخذ منها نتيجة في كلام ولااستقامة في مبدأ."[34]وايضاً قولهم: "ينبثق من جوهره وكيانه الإلهي "[35]، وفيه يشير الشيخ البلاغي أن الإله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ، لا في الماهية ولا في المقدار ، ولا يتغير كيانه ، ولا يلد ، وما معنى قولكم ينبثق من جوهره ؟ هل تريدون مثل ما ينبثق الثمر من الشجر ، فتكون أجزاء الشجر ثمراً بسبب تقلب النمو وتطورات أجزاء الشجر بالتغير ؟ أي بمعنى أن ينبثق من جوهره وكيانه الإلهي موجوداً آخر نسميه إلهاً مولوداً من الإله ؟ كيف يكون هذا مع أن واجب الوجود لا يتجزأ ولا يتغير كيانه[36] . ويقول البلاغي: وإني قد تتبعت الكتب المنسوبة لنبوات الديانة الإسرائيلية والديانة النصرانية فوجدتها مضطربة المبدأ قلقة الكلام في معنى الولادة من الله- (فتارة) يلوح منها أنها تريد بالنبوة لله والولادة منه معنى جائزا وإن تشوهت عبارته بسخافة المبالغة .تريد بذلك محض ارتباط الملة أو الشخص بالإيمان والتوحيد والصلاح وامتيازه بذلك عن البشر فتشير بذلك إلى امتياز هؤلاء

بالارتباط بالله بالإيمان وصلاح الطاعة كامتياز الولد بالارتباط والانقياد لأبيه وشرف مكانه عند الأب"[37]. ويضيف البلاغي أن الاله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ ، ولا يمكن أن يكون مركباً ، لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار ، وأن الكلام بتعدد الإلهة كلام سخيف واحتجاج تحريفي واهٍ فأنه ينادي بأن المراد من ابن الله هي النبوة والوثنية الإشراكية . وأن الحجة القاطعة لنفي الشرك ، قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[38] وهي شهادة الله إعلامه بإلهيته ووحدانيته بالدلالات الجلية[39] . ويرد الشيخ البلاغي على المسيحيين بقولهِ " وأن الحياة الأبدية أن يعرفوا الله بأنه الإله الحقيقي وحده، وأن (يسوع) هو المسيح الذي أرسله"[40]. فهم يجعلون الثلاثة حقيقة واحد احقيقيا والواحد الحقيقي ثلاثة حقيقة[41]يقول البلاغي"إن الله الذي لا إله إلا هو ، هو الإله الواحد القدوس، الأزلي الدائم، العليم الحكيم ، الغني العزيز ، القادر القاهر ، الحيالذي لا يموت، العادل الرحيم، الجواد العظيم، الذي يجل عن التعدد والحدوث والتجسد والأين والمكان والتغير والضعف، وإن المسيح رسولكرم وعبد مقرب لهذا الإله العظيم، قد بلغ رسالته ، وأدى وظيفته، فلم يشن توحيده بشرك، ولا صدقه بكذب، ولا تعليمه بتناقض، زلا حججه وبتهافت، ولا عفافه بدنس، ولم يتصرف به الشيطان، ولم ينهه اليهود، بلكفاه الله شرهم وسوء ولايتهم، ورفعه إلى السماء حيا ممجدا؟"[42]

وفي نفي التعدد والشرك من الإله يبين البلاغي معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[43] فهؤلاء جحدوا حقيقة التوحيد الذي يلهجون بالاعتراف به ويجعلونه دينهم الأساسي ، ولا تقوم حجتهم على الإلهية ووجوب الوجود إلا به، فتناقضوا وتهافتوا وتقهقروا إلى جحود الحقيقة الأساسية ، وكفروا بها، كيف يقولون ذلك ؟! "وما من إله إلا إله واحد إذلايعقل تعدد الإله فالإله لا يتعدد وإلا خرج عن كونه إلهاً[44] .وكذلك أشار الشيخ البلاغي عن اشراك اليهود والنصارى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [45] ففي هذه الآية اختلف بنو إسرائيل وخصوص اليهود والنصارى في هذا الدين، فتّقلب الغالب من بني إسرائيل في الشرك مرّوا على عبدة الأوثان وذلك بعد ما أسلموا لموسى، ورأوا الآيات النيرات في مصر ، وانشقاق البحر لهم ، وعبورهم فيه على الأرض اليابسة ، فقالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[46]، ويوم عبدوا العجل ، واستمروا على التقلب في الشرك في أجيالهم، كما هو معروف في تأريخهم وكتبهم، وذهب الكثير من النصارى إلى تثليث الآلهة ، وتأليه المسيح ، وإبطال الشريعة بالرأي حتى استوعبهم ذلك أخيراً[47].وكذلك فإن بني إسرائيل ظهرت لهم من موسى– الداعي لهم إلى التوحيد – معجزة

العصا ، واليد البيضاء ، وغيرها من المعجزات ، وبلغهم عن الله قوله: لا تصنعوا معي آلهة فضّة ، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، ولا تضع لك تمثالاً منحوتاً في السماء أو في الأرض أو في الماء ، ولا تسجد لهن ولا تعبدهنّ . فقالوا : كل ما تكلم به الرب نفعل . فكتب موسى هذه الأقوال وغيرها وقرأها عليهم تجديداً للعهد ، فقالوا أيضاً : كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع وبلغهم أيضاً : لا تضعوا لكم أوثاناً ، ولا تقيموا لكم تمثالاً أو نصباً، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له . وبعد هذا كله لم تمض سنة منه حتى ارتدوا عن عبادة الله ، وقالوا لهارون لما أبطأ عليهم موسى في جبل سيناء : اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . فلّما صنعوا العجل المسبوك من ذهب حليّهم، قالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي اصعدتك من مصر ، فسجدوا له وذبحوا . وأن صريح هذا الكلام وفحواه وشواهده ودلائله لتوضح ارتدادات بنو إسرائيل وتقلباتهم في الشرك [48] .

ويبين البلاغي معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [49] ويقصد في هذه الآية التوحيد والدين الصحيح من دلالة العقل والفطرة والمعجزات الباهرات ، والآيات البينات ، وصراحة كتبهم ، كما بقي شيء من ذلك فيما حرَّفوه ، ولكن حدث الاختلاف فيهم (بَغْياً بَيْنَهُمْ) من الكافرين على الموحدين ، أو بغياً حاصلاً بينهم على الحق ، وتمرداً على ما يعلمون ، واستمر ذلك البغي فيهم حتى جحدوا رسالة رسول الله وقرآنه وما فيه من معارف الحق وشريعته ، بعد ما دل على ذلك المعجز وكتبهم في البشرى برسول الله وقرآنه . (وَمَنْ يَكْفُر(وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ) ويجحدوا دلالتها البينة (فَإِنَّ اللَّهَ) ، محاسبهم ومعاقبهم ومجازيهم على كفرهم يوم القيامة[50] ، وهو (سَرِيعُ الْحِسَابِ) ، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً*وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [51] ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [52] .

وأما في قوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [53] يوضح البلاغي معنى هذهِ الاية، بقولهِ أن المشركين يجعلون لأوثانهم وما يؤلهونه صفة الإلهية وأعمالها ، وبذلك يجعلون كلاً مما يشركون به نداً لله، ومثلاً معارضاً له في إلهيته وأعمالها (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أن الإله الخالق المعبود والمطاع هو الله، فما هذه المزاعم، وما هذا الشرك المناقض لعلمكم ومعرفتكم ؟ ولو تدبرتم الحجج الساطعة ، لعرفتم كيف لبست عليكم الأوهام، ودلست على عقولكم الأهواء ، فوحدوا الله – أيها الناس- كما هو حقه، وآمنوا بعبد الله ورسوله الذي جاء بالحجج الباهرة، وأنزل عليه القرآن العظيم[54] ولذلك فأن اتخاذ الانداد إنما هو نكوص

عن معرفة الله وحقيقة إلهيته وقدس توحيده وعبادته ونكوص من طاعته واتباع شريعته ومن أمر باتباعه[55].

ثانياً: التوحيد في الصفات

ويستشكل الشيخ البلاغي على الفرقة الظاهرية أنها لم تلتفت إلى المجاز ووجهه الواضح في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [56]، ولم يصرفهم عن المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ ضرورة العلم القرآني والبراهين القطعية في أن الله منزه عن الجسم والأين والمكان ! لكي يعرفواأن المراد بالعرش هنا هو شأن القدرة والجلال ولتقريبه لأذهاننا شبهه بما نعرفه ونعرف آثاره من العرش الجسماني للملك الأرضي ، لكنهم نسبوا إلى النبي أنه قال: حتى يسمع له – أي العرش – اطِيط الرّحل – كما ذكره عن والدليل على العينية هو ان القول باتحاد ذاته ﷻ مع صفاته يوجب غناءه في العلم بما وراء ذاته عن غيره، فيعلم بذاته كل الأشياء من دون حاجة إلى شيء وراء الذات وهذا بخلاف القول بالزيادة فإنه يستلزم افتقاره ﷻ في العلم بالأشياء وخلقهُ إياها في أمور خارجة عن ذاته ، فهو يعلم بالعلم الذي هو سوى ذاته ويخلق بالقدرة التي هي خارجة عن حقيقته، ويحيا بحياة غير ذاته، والواجب ﷻ منزه عن الاحتياج إلى غير ذاته، والتنزيه : هو قاعدة العقليين في تعاملهم مع مسألة الصفات التي توهم نقصاً أو حدوثاً للخالق العظيم ﷻ بينما لم يتخلص غيرهم ممن جمدوا على النصوص فوقعوا في التجسيم والتحيز المكاني والرؤية وغيرها . ويستشكل البلاغي على الفرقة الظاهرية أنها لم تلتفت إلى المجاز ووجهه الواضح في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [57]، ولم يصرفهم عن المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ ضرورة العلم القرآني والبراهين القطعية في أن الله منزه عن الجسم والأين والمكان ! لكي يعرفوا أن المراد بالعرش هنا هو شأن القدرة والجلال ولتقريبه لأذهاننا شبهه بما نعرفه ونعرف آثاره من العرش الجسماني للملك الأرضي ، الذي بالصعود عليه صعودا زمنيا ينفذ سلطانه وتعم قدرته[58] .

وفي بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[59] يقول البلاغي: قريب باللطف والرحمة والإجابة لأنه يجل عن المكان[60]، وفي رفع الله تعالى لعيسى عليه السلام ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[61] فإن الله لا يحويه مكان وقد جاء الرفع تكريماً للمسيح وتضخيماً لغاية الرفع من الأرض التي فيها الكافرون والفساق إلى السماء المُحِضة لتسبيح الله وتقديسه فكنّي بذلك برفعه إلى الله [62] . وفي نسبة الاتيان لله فهي مجاز في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[63] أي تأتيهم آثار قدرته وعظمته وسلطانه القاهر كما يقال لمن جاءه جيش الملك بسطوة سلطانهِ جاءك الملك [64].

وفي تعليقه على كلمة (لو) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[65] يقول البلاغي: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أن "لو" هنا بمعنى التمني جرياً على ما يستعمله الناس في المحاورات في مثل المقام ، والله يجلّ ويتقدس عن حقيقة التمني [66]

وقد ذكر البلاغي بعضاً من صفاته تعالى في قوله: "أن الله الذي لا إله إلا هو، هو الإله الواحد القدوس، الأزلي الدائم، العليم الحكيم، الغني العزيز، القادر القاهر، الحي الذي لا يموت، العادل الرحيم، الجواد العظيم، الذي يجل عن التعدد والحدوث والتجسد والأين والمكان والتغير والضعف ..." [67].

التوحيد في الخالقية

يذكر الشيخ البلاغي أن من ضروريات دين الإسلام – والمُجمع عليه بين جميع الفِرق المنُتحلة لدين سيّد الأنام ، بل ومن أعظم أركان التوحيد – توحيد الله ﷻ في تدبير العالم، كالخلق والإماتة والاحياء ، وإلى غير ذلك مما يرجع إلى تدبير العالم ، كتسخير الكواكب ، وجعل الليل والنهار ، والظلم والأنوار ، واجراء البحار ، وإنزال الأمطار، وغير ذلك مما لا نحصيه ولا نحيط به [68]. " وإن القرآن الكريم قد احتج على هذا الأمر بنحو العموم ووبخ العقول على غفلتها وغلبة الأوهام على وجدانياتها حيث أنها تقضي في الأمور الجزئية الطفيفة المستحقرة في جنب نظام العالم وتحكم بوجدانها بأن هذه الأمور الجزئية الحقيرة لا بد من أن يكون وجودهابإيجاد عالم بغاياتها أوجدها لأجل الغايات .ومع ذلك يخادعها الوهم في خلقة العالم الكبير وما فيه من الحكم والغايات"[69] .

ففي قوله تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[70] فإنّ خالق هذا العالم بالنظام العجيب وموجده على الحكمة الباهرة ، هل يمكن أن يكون لا يشعر ولا يعلم بغاية خلقه ، ولم يوجد لأجل غاياته ؟ كلاّ[71] . ولم يكتف في حجته بهذا الاجمال وإن كان كافياً لذوي العقول الحّرة ، بل استلفت شعور الإنسان إلى وجودٍ لا يغيب عنه ولا يخفى عليه مهما خفيت الأشياء، ذاك هو خلق الإنسان ونشوؤه ، وتناسل نوعه ، وآلات نفعه ، وخصائص صورته. كما في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرْ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ*خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ*يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [72] وقوله : ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[73] متجلياً بهذا الهيكل الإنساني الجميل الراقي في حسن الخلقة العجيبة والشعوروكذلك احتج بالآلات الموجودة في الإنسان ، التي يعرف عموم البشر عظيم نفعها في الحياة والمجتمع الإنساني ، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ*وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ﴾[74] فإنه مهما جهل الإنسان بمنافع أعضائه وأجزائه ، فإنه لا يجهل الأعجوبة من منافع العينين في الرؤية ، ومنافع اللسان والشفتين في الكلام . وإن

اختلف الناس في مبلغ إدراكهم لعجائب هذه الأعضاء ، وكان الطبيب والمشرح يُدركان ما لا يدركه سائر الناس من العجائب والأسرار الشريفة في خلقه هذه الأعضاء وعظيم نفعها في الحياة[75]. ثم احتج بمبدأ الإنسان وخلقه وبعض أقسام شعوره الآلي ، الذي يدرك كل أحدٍ من الناس أنه الشعور النافع في الحياة والمجتمع الإنساني ، ففي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[76] المراد أفراد الإنسان ، ومن ذا الذي يقول : لا ؟! كل أحد يعلم أنه وبني نوعه قبل مدة لم يكن شيئاً مذكوراً ومعروفاً يُعتنى بهِ . وأين كان الإنسان قبل أن يولد بألف سنة ؟ هل كان شيئاً مذكوراً ؟ لا ، إن أقدم عهده بمبدأ نشأته وامتياز وجوده، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[77] .ثم استلفت النظر والتدبر إلى صورة الإنسان ووجهه وإتقانها ، واختلاف تراكيبها التي يعسر إحصاؤها وحدّها ، مع قلة أجزاء الوجه التي هي جبهة وحاجبان وعينان وخدّان وأنف وفم ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ*الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ*فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [78] بحيث تمتاز من بني نوعك على طبق الحكمة التي يقتضيها انتظام النوع الإنساني، فجعل كل واحدٍ خلقاً سوّياً معتدل التركيب بأجزاء متساوية النوع والعدد[79] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[80] أي بالانتظام والإتقان، وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[81] هذا ما يعرفه كل أحد من نعمة الخلقة ، فكيف إذا نظر العالم إلى أسرار خلقته ، فينظر إلى عظامه التي هي دعائم لبدنه ، وحفائظ لأجزائه الشريفة ، ومعدلات لوضعه[82] .

وقد بنى القرآن الكريم احتجاجه في الإلهية على هذه المقّدمة الفطرية البديهية التي عليها عمل البشر في جميع أدوارهم وأحوالهم ، فوبّخ ذوي الأغراض على تغافلهم ، ولذلك فإن هذه الآيات وغيرها تقيم الحجة على الناس بحسب شعورهم المشترك ، وتؤكد الحجة على كل راقٍ في الشعور بحسب رقيّه في التنبه والعلم[83].

وأما حجج القرآن الكريم في خلق السماوات والأرض حيث قال الله تعالى تأكيداً للحجة وقطعاً للمعاذير: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[84]بالحقائق المتجلية ، لا يغالط إيمانهم بها غمزات العصبية وفلتات التقليد الأعمى ، ومكابرة الوجدان الحّر بعبودية الهوى وشكوك الوساوس[85] . فترى هؤلاء يهتدون بنور عقولهم ووجدانهم الحّر في العرفان ، كما يهتدون بذلك في سائر الأمور ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ [86] أيها الناس ، وما فيه ما عجائب الغايات

وإتقان الصنع وبدائع الحكمة الباهرة ﴿وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ على نهج مستقيم في الاهتداء بأسباب اليقين ودلائل العلم . فلا تراهم يصرفهم الهوى عن اليقين مع وضوح الحجة. أو يلوي أفكارهم إلى زخارف الأوهام[87].وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [88] وبال الجمود الأعمى، ونقائض الجهل المركب ورذيلة اتباع الأهواء، ومكابرة الحجة الواضحة والوجدان الحر، ومضار الانحراف عن النهج الواضح ، وهلكة الوقوع في تيه الضلال[89] .ولا حاجة لنا في أن نهض الهيأة الجديدة بأن نقول:" بأن نقول إن السماوات أفلاك تامة منضدة في غاية اللطافة والشفافية بحيث لا تحجب عن النظرشيئا . ولا حاجة لنا أيضا في الطالبة بالحجة الكافية على أنه ليس هناك أفلاكا موجودة وسماوات منضدة وأنه ليس الموجود إلا أجرام الكواكب تدور سياراتها في الفضاء ويستقر مركز ثوابتها في الفضاء" [90] .

ولذلك فإننا لا نعتمد على الهيئة القديمة وما خيلته من دعاوى الابعاد والأجرام والأفلاك الجزئية، فإن حجة القرآن الكريم لا مساس لها بشيء من ذلك، بل يمكن أن نجاري الهيأة الجديدة ونقول : إن المراد من السماوات: مراتب العلو المحددة بمدارات السيارات ، فنحن نرى ما في السماوات من الكواكب العجيبة: من ثابتة في مركزها، وسائرة في مداراتها على نظامات مستمرة . وهذه الثوابت لماذا لم تعمل بها جاذبية ؟ وبماذا لزم كل كوكب مركزه؟ [91] وأما على وفق الهيأة الجديدة ، فنحن نرى حركة أرضنا وسيرها على منطقة البروج بمدار بيضي، أبعده عن الشمس يكون عند السرطان في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وأقربها عند الجدي في النصف الجنوبي[92] . يقول البلاغي "وإن أردت أن تلتفت إلى ما في هذا الوضع من الغاية العجيبة والحكمة الباهرة في التعديل وموازنة الحر والبرد والقرب والبعد من الشمس بحسب اليابسة المسكونة فاعرف أن أقصى وصول اليابسة منأرضنا في جهة الجنوب إنما هو رأس القرن من أمريكا الجنوبية وهو لايزيد على الدرجة الخامسة والخمسين من العرض الجنوبي مع قلة المسافة فيما بين المشرق والمغرب وقلة الساكنين "[93]

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [94] ومن تأكيد الاحتجاج المسوق بسياق الامتنان لله والشكر ، قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ لمنافعكم التي تعرفونها والتي لا تعرفونها ، ومن منافعكم اعتباركم بخلقتها ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ من نباتٍ ومياهٍ وحيوان ومعادن ، فتبصروا واعتبروا، والتفتوا إلى ما في الأرض والبحار والنبات والحيوان من مظاهر قدرة الإله وإرادته وحكمته ورحمته[95] .

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ، أي جهة العلو ، والتعبير بالاستواء مجاز باعتبار توجه إرادته وحكمته إلى خلق السماوات في العُلو بعد أن خلق الأرض وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ ، وفسر إفهام الضمير بقوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مما خلقه ﴿عَلِيمٌ﴾، كما يظهر على المخلوقات دلائل علمه وخلقه بالإرادة على مقتضى حكمته[96] .

وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [97] وهذه الآية هي احتجاج بخلق الأرض وما فيها من خصائص هذا الكون وآثاره ، فيعرفون دلائل القدرة وآثار الحكمة ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [98] لزوم تعليل الحادث وآيات قصد الغايات[99] .يقول البلاغي في ذلك" وقد أوضح القرآن ما بلغه سير العلم بعد جهد جهيد من أن كل ثمرات التوالد ونتاج التوليد الذي يبقى به النوع من الحيوان والنبات جعل فيها ذكورة وأنوثة زوجين اثنين للتلقيح وأثمار النتاج "[100].

وأنظر إلى ما يبث في الدنيا من دابةٍ، وتأمل في عجائب الخلق فيها ومواقع الحكمة. وأنظر إلى الأبل وتسخيرها لمنافع الإنسان في المفاوز المعطشة والمسافات البعيدة ، تصبر على العطش وتقنع بالحطب . وكذلك أنظر إلى الحكمة كيف راعت أحوالها مع الأحمال الثقيلة ، ونظرت إلى جسرظهرها الطويل وضعفه عن معاناة الحمل الثقيل وصدمة ارتجاجات الأحمال وزيادة ثقلها عندما تنهض للقيام وعندما تبرك فجعل لها السنام ؛ لكي تكون كيفية تحميلها على نحو يتوجه فيه الثقل من الأحمال وارتجاجاتها إلى قوائم يديها ورجليها ، فتكون قوائمها هي الدعائم المقاومة للثقل الكثير[101].وأيضاً جعل لها في صدرها ثفنة تعتمد عليها عند النهوض، وتسهل تحريك يديها للقيام، وتقي عظام صدرها من ضغط الحمل وثقيل ارتجاجه . وراعت الحكمة طول أعناقها فجعلت تركيبها عمودياً ؛ لكي تخف وتعين بخطرانها على المشي وجعلت أخفافها عريضة لينة؛ مراعاة لعلوها وكبر جثتها وثقل أحمالها[102] .

وأما احتجاج القرآن الكريم في خلق العالم ، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[103] ؛ لأنه إله العالم ومدبره وخالقه ، وكل ما عداه محتاج إليه في ذاته وأموره، فكل أمر من شؤون العالم يرجع إليه ، وكُرر اسم الجلالة للإيماء إلى وجه رجوع الأمور إليه ؛ لما في اسمه المقدس من معنى الألوهية والسلطان العام[104] .

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ*أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ﴾ [105] وقد احتج الله تعالى على المتغافلين عن خالق العالم فقال –تعالى- ﴿أَمْ

خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي يخلقهم ويوجدهم بعد عدمهم، أيمكن في الشعور أن يقولوا "أَمْ" يقولون: إنهم ﴿خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ؟ هذا العالم الكبير هل خلقوه وهو عدم وقبل وجودهم؟ "إذن لا محيص للعلم وشرف الشعور والانسانية عن الانتهاء بالتعليل لفاعلية الايجاد إلى الفاعل الأزلي ولا يمكن وصفه بالأزلية إلا أن تعترف له بوجوب الوجود والاستغناء في نفسه عن الموجود . ولا نقدر أن نصفه بوجوب الوجود ما لم نعترف له بلوازم وجوب الوجود ونلتزم بها .وما لم تنزه ذاته المقدسة عن منافيات وجوب الوجود"[106]

وأقتضت دلالة الفطرة وحكم الشعور والوجدان السليم ، على أن هذا الواجب الموجد للعالم لابد من أن يكون عالماً ، قد أوجد موجداته لأجل غاياتها التي يعلمها ويقدرها بعلمه قبل وجودها[107] .

وينتهي البلاغي بالقول: أن القرآن الكريم والعقل يدلان على أن الله خالق الخلق بمشيئته، وأن العالم صادر عن خلق وإرادة(108).

الخاتمة:

تبين لنا أن للشيخ محمد جواد البلاغي الدور البارز في التحرر من الركود والدفاع عن الاسلام واحياء فلسفة القران وكان له الفضل في ادخال العلوم المعاصرة في الحوزة العلمية وكذلك كان له الدور في الدفاع عن العقيدة من خلال الاجابة عن الشبهات المثارة عليها من قبل الحملات التبشيرية والحركة الاستشراقية وما اثاره الماديون والطبيعيون والدهريون على ما زعموه من القول بالصدفة والطبيعة البكماء وازلية المادة ونظرية النشوء والتطور وشبهة الشرور في العالم. وكذلك عُني بكتابة العقيدة بلغة بسيطة بعيدة عن التكلف والمصطلحات البعيدة عن الافهام.

الهوامش:

(1)الدكتور علي رمضان الاوسي: البلاغي مفسراً، قم: مركز العلوم والثقافة الاسلامية، 2008م ، 239.

(2)سورة ال عمران: اية 64.

(3)الرحلة المدرسية، بيروت: دار الزهراء، 1414هـ- 1993م، ط2.

(4)سورة ال عمران: اية 64.

(5)سورة ال عمران: اية 64.

(6)الرحلة المدرسية: مصدر سابق، ص365.

(7) الشيخ محمد جواد البلاغي: انوار الهدى(ضمن موسوعة العلامة البلاغي)، مصدر سابق، ص43.

(8) المصدرنفسه، ص42و43.

(9) شبلي شميل: اراء الدكتور شبلي شميل، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2015م، ص25.

(10) انوار الهدى: مصدر سابق، ص56.

(*) وهو طبيب وفيلسوف لبناني(1853م. 1917م) درس نظرية التطور والمنهج العلمي والعلوم الطبيعية وهو من المؤيدين لنظرية داروين اذ ألف في ذلك كتاب فلسفة النشوء والارتقاء. انظر في ذلك الدكتور رفعت السعيد: ثلاثة لبنانيين في القاهرة، بيروت: دار الطليعة، 1973م، ص7 و16و19و21.

(11) انوار الهدى: مصدر سابق، ص57.

(12) انوار الهدى: مصدر سابق، ص57.

(13) المصدر نفسه.

(14) انوار الهدى: مصدر سابق، ص69 الى 71.

(15)أراء الدكتور شبلي شميل: مصدر سابق، ص14.

(16) انوار الهدى: مصدر سابق، ص76.

(17)المصدر نفسه.

(18) انوار الهدى، مصدر سابق، ص80.

(19) المصدر نفسه: 80 و81.

(20)المصدر نفسه: ص83 و85.

(21) الشيخ محمد جعفر شمس الدين: دراسات في العقيدة الاسلامية، دار التعارف، 1413هـ-1993م، ط4، ص118.

(22) سورة الحج: اية 5.

(23) الرحلة المدرسية: مصدر سابق، ج3، ص12.

(24) المصدر نفسه، ج2، ص48.

(25) المصدر نفسه: ص47الى 52.

(26) المصدر نفسه: ص54الى الى 56.

(27) الرحلة المدرسية، مصدر سابق، ص109.

(28) نفسه، ص110و111.

(29) سورة الطارق: الايات 5و6و7.

(30) الرحلة المدرسية، مصدر سابق، ج2، ص121.

(*) وهو عنصر كيميائي اكتشفه كل من الزوجين المسيو بيير ومدام كوري سنة 1898م اثناء عزل الاورانيوم عن المواد الغربية المختلطة بهِ، وهو عنصر ذي خواص اشعاعية قوية وسريع التحول ونادر جداً، ويستخدم في الابحاث النظرية والعملية مثل تقدير عمر الكرة الارضية وكذلك معالجة امراض السرطان وامراض الجلد والالام العصبية. لمزيد من التفصيل: انظر في ذلك احمد حسن الزيات باشا:

مجلة الرسالة، 1934م، ع 54، ص61 و64 و65.وكذلك خليل احمد مختار واخرون: مجلة الثقافة السورية، 1934م، ع10، ص259. وايضاً محمد بن عبد الرزاق: مجلة المقتبس، 1911م، ع 61، 48. وايضاً: انستاس ماري الكرملي وبطرس عواد، مجلة لغة العرب العراقية، مديرية الثقافة العامة: وزارة الاعلام، ع 25، ج3، ص13.

(31)الرحلة المدرسية، مصدر سابق، ج 3، ص5.

(32) المصدرنفسه، ص6و7.

(33) الكتاب المقدس العهد الجديد،المطبعة الكاثوليكيّة،1951م،الفصل الرابع ، ص427.

(34)الرحلة المدرسية: مصدر سابق ،ج ٢،379.

(35)الرحلة المدرسية، ج ٢،380.

(36)المصدر نفسه.

(37)المصدر نفسه،380و381

(38) آل عمران : 18 .

(39)المصدر نفسه:382

(40)التوحيد والتثليث:مصدر سابق،38

(41)المصدر نفسه.

(42)التوحيد والتثليث:مصدر سابق،39.

(43) سورة المائدة : 73 .

(44)الرحلة المدرسية :مصدر سابق،ج2،ص397.

(45) آل عمران : 19 .

(46) الأعراف : 138 .

(47)الآء الرحمن في تفسير القرآن :مصدر سابق، ج1،265

(48) الهدى الى دين المصطفى:مصدر سابق، ج1،ص53

(49) سورةآل عمران : اية19 .

(50) الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ج1،ص 266

(51) سورةالمعارج : الايتان6- 7 .

(52) سورةالنازعات :اية 46 .

(53) سورةالبقرة :اية 22 .

(54) الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ص76

(55)الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ص145.

(56) سورة طه : اية5 .

(57) طه : 5 .

(58)الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ج1،ص42.

(59) سورةالبقرة : 186 .

(60)الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ج1،ص162

(61) سورةآل عمران : 55 .

(62)الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ج1،ص288.

(63) سورةالبقرة : 210 .

(64)الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ج1،ص187و188 .

(65) سورةالبقرة : 103 .

(66)الاء الرحمن في تفسير القران :مصدر سابق،ج1،ص113

(67)التوحيد والتثليث:مصدر سابق،ص39.

68(68) الرد على الوهابية :مصدر سابق ،ص57 .

(69)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص332.

(70) الملك : 14 .

(71)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص332.

(72) الطارق : 5- 7 .

(73) مريم : 67 .

(74) البلد : 8- 9 .

(75)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص332و333.

(76)سورة الدهر:اية1.

(77) الإنسان : 2 .

(78) الانفطار: 6- 8 .

(79)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص333و334.

(80) التغابن : 3 .

(81) النحل : 78 .

(82)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص335.

(83)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص342.

(84)سورة الجاثية:اية3

(85)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص345.

(86) الجاثية : 4 .

(87)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص345و346.

(88) يونس : 6 .

(89)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص346.

(90)المصدر نفسه.

(91)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص346.

(92)المصدر نفسه.

(93)الرحلة المدرسية:مصدر سابق،ج2،ص346و347.

(94) البقرة : 29 .

(95)آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، مصدر سابق، ص ٨١.

(96)آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، مصدر سابق، ص ٨١.

(97) الرعد : 3 .

(98) الرعد : 4 .

(99)الرحلة المدرسية:مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٣٥٥.

(100)المصدر نفسه.

(101)الرحلة المدرسية:مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٣٥٥.

(102)الرحلة المدرسية:مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٣٥6.

(103) آل عمران : 109 .

(104)آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، مصدر سابق، ص 327.

(105) سورةالطور : اية35- 36 .

(106)الرحلة المدرسية:مصدر سابق، ج ٢ ، ص ٣69.

(107)المصدر نفسه.

(108) آلاء الرحمن في تفسير القران : مصدر سابق،ج1،ص 435 .

المصادر والمراجع

(1) الامام محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق، د.ت،

(2) شبلي شميل: اراء الدكتور شبلي شميل، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2015م، .

(3) رفعت السعيد: ثلاثة لبنانيين في القاهرة، بيروت: دار الطليعة، 1973م،.

(4) الشيخ محمد جعفر شمس الدين: دراسات في العقيدة الاسلامية، دار التعارف، 1413هـ-1993م، ط4،.

(5) الكتاب المقدس العهد الجديد،المطبعة الكاثوليكيّة،1951م.

(6) الدكتور علي رمضان الاوسي: البلاغي مفسراً، قم: مركز العلوم والثقافة الاسلامية، 2008م

(7) الرحلة المدرسية، بيروت: دار الزهراء، 1414هـ- 1993م، ط2

(8) الشيخ محمد جواد البلاغي: الاء الرحمن في تفسير القران، مطبعة العرفان، 1351 هـ-1933 م.

The innovative approach of Sheikh Muhammad Jawad Al-Balaghi (d. 1935 AD) in proving monotheism

Mariam Essa Jasem

Imam Jaafar Al-Sadiq University

Mariam.Eissa1201a@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Keywords: thought. Doctrine. monotheism

Summary:

The beliefs of the Islamic nation and the foundations of its religion had become manifested by heresies and superstitions, and most of the books of beliefs had turned into texts and footnotes full of sterile verbal debate. Therefore, the rhetorician sought to correct the doctrine and present it in a simplified manner free of all these complications. Therefore, this research consisted of several axes. The axis was The first is in Sheikh Al-Balaghi's response to the suspicions of the materialists, as their suspicions are summarized about creation, evolution, the eternity of matter, and coincidence. The second axis includes self-unification, while the third axis is about monotheism in attributes, and the last axis is about monotheism in creation.